

وسائل التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان
Methods of ideological evaluation in novels of yousef zeidan

omerhaj889@gmail.com جامعة حضرموت، اليمن	عمر حاج عمر الشعيب
---	--------------------

الإرسال: 2025/11/23	القبول: 2025/12/02	النشر: 2025 /12 /30
---------------------	--------------------	---------------------

الملخص:

لبحث (وسائل التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان) شقان، المنهج المتبع والمادة المراد دراستها، إذ اتخذ الباحث المنهج السردى المنبثق من أطروحات بوريث أوسبنسكي؛ ليكشف عن محيط الوسائل التقويمية، التسمية والمقارنة والحيونة والخطب والمحاضرات والأحلام، ويتجاوز منهج أوسبنسكي مضمون النص الخارجى إلى تركيبه الداخلى كاشفا عن نسيج القوانين الموجهة لنظم الإنشاء وحرية الصياغة، من خلال تتبع الاختيارات التأليفية وتواليها المنظم، فالنص الفنى - عنده - مؤلف من رموز لكل منها مضمونه، والبنية نتيجة لعمليات تحليل يمارسها القارئ منبثقة من تنظيم المؤلف للأنماط التأليفية، والمدونة قيد البحث ست روايات، ظل الأفعى (2008م)، عزازيل (2009م)، النبطي (2012م)، محال (2012م)، جونتنامو (2014م)، نور (2016م).

الكلمات المفتاحية: التقويم الأيديولوجي، المنظور الروائى، النص الفنى، شعرية التأليف.

Abstract:

The study of ideological evaluation methods in the novels of Youssef zeidan is divided into tow parts: (Research methodology, novels of yousef zeidan) the researcher adopted the book (The poetice of composition) The structure of The Artistic text and the patterns of compositional from to reveal The evaluative means in of yousef zeidan novels, such as, naming, comparison, animalization, speeches, lectures, and dream. Uspenskys approach goes beyond the external content of

the text to its internal structure in order to reveal the laws guiding its creation and system of formulation.

Key words: Methods of ideological evaluation, novels of yousef zeidan

المقدمة:

التقويم الأيديولوجي (Evaeuative) لدى أوسبنسكي شبكة شاملة لرؤية الكون الروائي ذهنيا وفق آلية متماسكة، إذ يشغل أوسبنسكي نفسه بالتساؤل عن وجهة النظر التي يتبناها المؤلف لحظة إدراكه لعالمه الروائي أيديولوجيا، فيضبطها بقانون ثنائي تنتظم فيه عناصرها:

- 1- ظهور التقويم الأيديولوجي بمواقع داخل/خارج الرواية تقطع تسلسل الأحداث
 - 2- اختفاء التقويم الأيديولوجي المباشر، فُيَعَوَّل على حدس اختيارات المؤلف الدرامية، وما قد يفيض على المستويات الظاهرة - خاصة المستوى التعبيري - وما يتخلل أجزاء عمله من أنظمة يفترضها القارئ وفق ثقافته، فأصبح التقويم قابلاً أكثر من تأويل.
- وتتكئ آليات بوريس أوسبنسكي على التمثيلات الافتراضية، والتصورات الممكنة، وكتابات الصحف، والنكات والأحداث، والأعمال الأدبية والمقارنة بينها دون اقتصار على مؤلف معين - وإن غلبت استشهاده وتطبيقاته على رواية (الحرب والسلام) - والانتقال من الحالات البسيطة الواضحة الشائعة إلى المعقدة الغائبة النادرة، وإيضاح كل منها واصفاً ومصنفاً، مجملاً ثم مفصلاً النتائج عن كيفية فهم وجهة النظر وطرائق تحديدها نسيج القوانين الموجهة لنظم الإنشاء وحرية الصياغة، من خلال تتبع الاختيارات التأليفية وتواليها المنظم، والانسجام البنائي - في نظر الباحث - آتٍ من فكر رياضي فيتاغورسي ينقّب عن نظام الأشياء في القيمة العددية.

واقتنى الباحث وسائل التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان، فانتظم البحث في مقدمة وتمهيد نظري وجانب تطبيقي لحمسة وسائل تقويمية هي التسمية والمقارنة والحيونة والخطب والمحاضرات والأحلام، فيجوس الباحث خلالها في روايات يوسف زيدان؛ لاستخراج بنياتها الأيديولوجية العميقة من خلال الوسائل التقويمية، مستفيداً ومتحاوراً مع رؤية بوريس أوسبنسكي.

التمهيد: التقويم الأيديولوجي

استثمر بوريس أوسبنسكي المشروعات النقدية السابقة له في بلورة مفاهيمه عن شعرية التأليف، تحت سيادة الثنائيات المتقابلة، إذ يوازن منهجه بين بنية النص وأنماطه التأليفية، فإذا كانت الأولى متعيّنة في إطار نقدي ضيق، فإن الأخرى لا تُحدّ إبداعياً، إذ يكابد النقد في ابتكار نظام منطقي مستقر، يخترقه الإبداع الأدبي، وعندما تغدو هذه الانحرافات متكررة فإن النقد يألفها مؤلفاً منها قانوناً جديداً، الأمر الذي يحافظ على الطبيعة الديناميكية لكلا الجناحين دون انتقاص من أحدهما، وهذه الصلات بين المعيار وانحرافاته تصف الفن في وجهه الآني والتطوري معاً⁽¹⁾.

وتتمثل الشخصية عند أوسبنسكي في امتلاكها موقفاً أيديولوجياً، يفضي بالشخصيات المحيطة للمساعدة أو المعارضة، فينشأ مخطط معقد للعلاقات التقويمية المختلفة التي تخلق الأيديولوجيا العامة في الرواية، يحدها أوسبنسكي بنظامين يتراوحان بين الأولوية والتعقيد هما⁽²⁾:

النظام الأول: الصوت الواحد

ترسو جميع السلطات بقبضة الفاعل التقويمي، يمارسها بمقتضى تصوراتها، فإذا تمرّدت وجهة نظر ما، فإنها تُقاطَع وتُقمَع، وعليه يتمثل القارئ صوت الفكرة المهيمنة (المونوفونية)⁽³⁾.

النظام الثاني: الأصوات المتعددة

تنهض على استقلال رؤية الشخصيات الثابتة أو المتحولة للعالم بتساوٍ أو تفاوت لتعدد المراتب التقويمية، ويمنح القارئ حرية في تحديد الموقف الأيديولوجي الملائم لقناعاته، فلا حضور لمنظور علوي خارجي معزول عن وجهات النظر الداخلية، إذ التقويم في هذه الحالة وسيلة فنية لإدارة دفعة الأيديولوجيا بين شكلين يتكئان على تعددية خاصة تميزهما⁽⁴⁾:

الشكل الأول: (الحالة الأولى)

تعدد وجهات النظر في فصول متفرقة متعاقبة ذات ترتيب محدد، فتبدو وجهات النظر متفاوتة في المراتب، ويغدو تواتر سرد الأحداث مظهرًا من مظاهر التعددية والاحتمال، ويشير تنسيقها إلى تثبيت أفكار مقصودة، إذ يتركز وعي القارئ في الإضافات والتعديلات الجديدة التي يزيدها الراوي اللاحق على السابق من حيث أن القارئ على علم بمجمل الأحداث، وربما روى كل صوت مقتطفاً من القصة بحيث تُكَمّل الأجزاء بعضها دون تناقض، وقد لا يتفرّق على فصول محددة وإنما يجري سرداً واحداً موحدًا⁽⁵⁾، وأصطلح عليه بـ(الترانسفونية)⁽⁶⁾.

الشكل الثاني: (الحالة المعقّدة)

تعدد وجهات الفواعل متزامنة مستقلة برؤيتها، وبذلك تختفي الهيمنة الأيديولوجية، وقد عُرف هذا النمط بـ(البوليفونية)⁽⁷⁾، وحدها أوسبنسكي بالمتطلبات الثلاثة:

- استقلال وجهات النظر عن المؤلف.
- تناسب وجهات النظر إلى شخصيات مستقلة في التعبير عن أفكارها، فيُعدم أي موقف أيديولوجي مجرد مغادر للشخصيات المشاركة.
- عزل التعدد على المستوى الأيديولوجي فقط، فيظل في وسائل الشخصية لتمثيل الأيديولوجيات المتباينة، المحيطة بها.

الجانب التطبيقي: وسائل التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان

يتجلى التقويم الأيديولوجي في روايات يوسف زيدان على عدة وسائل أبرزها ما يلي:

الوسيلة الأولى: التسمية

انتقاء أو تغيير علامة الموضوع اللغوية (اسم، لقب، كنية) تتبناه ذات أو ذوات معينة⁽⁸⁾.

في (ظل الأفعى) تُسمّى الشخصيات بعضها تقويمياً، فيُخترع عبده اسم (نواعم) - الذي لم يعد يستخدمه أحد - تدليلاً لزوجته، بعد تقصّيه أوصافها المضخّمة بـ(النظرة الإباحية (porn view) لـ(بطنها المنبسطة، خصرها البديع، عنقها الرقيق، ابتسامتها الشبقة، كتفيها البضّتين، رديفها الخلقين، شفيتها المنفرجتين، جفنيها المسبلين، نهديهما الأملسين، فخذيها المستديرين، نبراتها الدافقة، حلماتها المحتشدة، أنفاسها الهادئة، تحناها العميق، قوامها الشهي...) ⁽⁹⁾ فـ«كل ما فيها ناعم، وهي مجمع النعومة»⁽¹⁰⁾ عند زوجها عبده، فتنتشي الزوجة بهذا النعت؛ لأنه يوحدّها مع الأفعى شعار كل الملكات العظيمات، بيد أنها تأسى وتمنع عن تسميات عبده التحقيرية للأُنثى⁽¹¹⁾.

ويُذكر الجدُّ الباشا الابنة نواعم بأنها حاملة لاسمه، بموجب الصكّ القرآني «كما أنعمت على أبويك إبراهيم وإسحق»⁽¹²⁾، فهو الأب والجد معاً، فترتضي الحفيدة كونه الأب، وتسخط من ادعائه لقب الوالد⁽¹³⁾، فـ«الرجل لا يلد، ولا يصح وصفه بالوالد»⁽¹⁴⁾.

وتسم نواعم زوجها بـ(عبودي)⁽¹⁵⁾، بعد تبّعها لسلوكياته التعبدية، ونظرتها الإلهية لنفسها (Holy view) (ركع، جثا، تصاغر، توسّل، تشبّث، ارتعش، رجاء، ارتمى، تذلل، سكن، انكمش، رضح، ارتجّ، ارتحف، دمع، دنا، خلع نعليه...) ⁽¹⁶⁾، مُحْتَفرة له بياء النسبة الملتحمة

بصفته الازدرائية «عبد من؟ أنت عبدي أنا...عبدي الصغير»⁽¹⁷⁾ أو النداء «يا عبد، يا عبيد»⁽¹⁸⁾ أو التنغيم⁽¹⁹⁾ غير عابئة بعوسه وحنقه، فتتسلف مفهوم قوامة الرجل، وتبين تبدل فهم عبده لنظام الأسرة.

إن تبرير التسميات في (ظل الأفعى) يصب في محيط الدلال الأنثوي، ف(نايل) يُسمّى صديقه دلال بـ(سگر):

- (دلال) تتطابق فيه أوصاف الشخصية مع المدلول اللغوي⁽²⁰⁾.

- (سگر) يجانس حلاوتها وإمتاعها المتأخيم لحالة السكر.

وتتقصّى الأم في رسائلها التسميات الأيديولوجية التمجيدية للأنثى والأفعى معاً، منذ بدء الخليقة إلى الوقت المعاصر، وما جرى بينهما من تحوير، فالآلهة الأفعوانية —عند أم نواعم— هي الخالقة الموحدة للكون على تعدد أسمائها بين الشعوب القديمة⁽²¹⁾، ثم أضحت أم البشر (حواء)، مشتبكة مع الحية في الوعي البشري بالحياة والتجدد، والتقسيم الهرمي للمجتمع⁽²²⁾، القائم على التمييز الاضطهاد⁽²³⁾. مختصة بلقب (الوالدة)، ثم علماً للقبائل والجماعات، فتغمر الأم هذه الحقة بصفات (الجمال، الحضارة، الإنسانية)⁽²⁴⁾.

وفي المدة البشرية الثانية، أفرغت اليهودية وكتبتها الرجال المدّسين الشعار الأنثوي الأفعواني، إذ حُمِلَت الأنثى والأفعى معاً مسؤولية السقوط البشري من النعيم المقيم، فانحالت اليهودية محجّرة المرأة محرّمة —حسب أم نواعم— عليها ممارسة الحكم والقضاء⁽²⁵⁾، وخصّت مقام الرجل بـ(قدس الأقداس، الكاهن الأعظم)⁽²⁶⁾، وهو ما تبلور في اللغات الإنسانية بعد اليهودية، ففسّقه الأم الألفاظ اللغوية التقزيمية للمرأة، مصبغة هذه المدة بلون (القبح، التخلف، المهمجية)⁽²⁷⁾.

في (عزازيل) تنتقي الشخصيات أسماء تعبر عن منظورها، فتؤمن أوكتافيا بنبوءة كاهنة المعبد، فتلازم البحر، وتنتقي لحبيها المنتظر اسماً وثنياً، فهو الهدية الإلهية من بوسيدون (ثيوزوروس بوسيدونيوس)، غير أن هيبا يجهنّ استبدال اسمه المصري، عارضاً على أوكتافيا تغيير اسمها، وحين ترد عليه بأنه مجرد رقم ترتبي لها بين أخوتها، ولا شأن له بالسياسة⁽²⁸⁾، يقترح عليها المرادف المصري (تيماشموني)⁽²⁹⁾، إذ اليوناني متخّم بدلالات أيديولوجية، تلك علاقات المصاهرة التي يُظن أنها حصن منيع للحكم، فيؤدي الحكم الروماني إلى نهاية الصهر اليوناني، بينما استقرت اللغة

والعلوم اليونانية ضد اللاتينية الحديثة حتى مصرع هيباتيا، فالسياسة تهزم السياسة، أما العلم فلا يهدمه إلا التدين المزعوم.

وتطابق هيباتيا ب(رأسها الملكي، شعرها الطويل، زرقة عينيها، اتساع جبهتها، نورها السماوي، ثوبها الهفاهف، وقفها الوقورة) تخيلات⁽³⁰⁾ هيبا عن السيد المسيح، فيطلق عليها (شقيقة يسوع)⁽³¹⁾، مَثْمَنًا أنها مصداق لمعنى اسمها، فهي سامية تقدر كل إنسان⁽³²⁾، متوافقاً مع الوصف الوثني لها (أستاذة كل الأزمان)⁽³³⁾، بيد أنها في مقلة أخوته في الديانة (شيطانة، عاهرة، عدوة الرب)⁽³⁴⁾، فيتحيّون فرصة الانقضاض عليها، فيقرر هيبا بعد مقتلها الفرار من الإسكندرية، وتغيير اسمه المصري إلى يوناني في لحظة إشراف اختلطت فيها وثنيته بمسيحيته⁽³⁵⁾.

وينتاب رهبان الدير السماوي عادة إعادة تسمية الشخصيات وفق نظام له دلالة فكرية، فيسمون هيبا (الغريب) لندرة تصرفاته، و(الطبيب) لمعالجته المرضى، ويطلقون لقب (فريسي الأنوم) على المتزمت في التفسير الحرفي للكتاب المقدس، ويدمغ رئيسهم الفتى المرمي في القماط ب(الشماس)، متعاوناً مع جمع من المؤمنين في تنشئته، متمنياً لو يتعلم من نوافع العلوم وأصول اللاهوت ما يصرف نظره عن أصله، ويتأثر هيبا بطريقتهم في التسمية، فيسمّي صديقه الراهب ب(الضحك الوقور)؛ لأنه كان يجمع بين الصفتين اللتين قلما تجتمعان⁽³⁶⁾.

ويطفح الصراع بين كنيستي الإسكندرية وأنطاكية في تسمية السيدة مريم العذراء، وما يستتبعها من طبيعة السيد المسيح، مُستَندِين على الفهم الحرفي الظاهري أو المعنوي العميق للآيات الإنجيلية، وهو ما يُفَعِّل تدبير هيبا في الألقاب الواردة عن كنيسة الإسكندرية ومعانيها العنيفة مثل (مرقس، بطرس)، وفي هامش الرواية يتابع راهب الرها التسميات السكندرية وتغييراتها، فبطرس القارئ يصبح الأسقف مونوجوس عند اعتقاله سلّم الأكليروس⁽³⁷⁾.

وعصر (النبطي) عصر ترقب البشارات السماوية الخلاصية، إذ يَتِمَّن الأقباط بتسميات ذات معاني إيمانية مثل (باخوم، بسنتي، بنيامين)⁽³⁸⁾ ويكثرون من تسمية البنات ب(مارية)، وهو ما قَوِّمته أم البنين «ما بال أهل مصر، يسمون كل بناتهم مارية»⁽³⁹⁾، محوِّرة الاسم إلى ماوية لتلّج إلى الملكة النبطية العظيمة، والهودي يلصق حفيده من نسل اليهودية بالأب المشترك للبشرية (نوح)⁽⁴⁰⁾ الذي منه تفرعت شعوب الأرض كلها⁽⁴¹⁾، واليهود يتحسسون نجاحهم بتسمية

سارة الجدة الأولى وأستير الابنة المختلصة⁽⁴²⁾، ويطرحون كل خارج عن سلالة جدتهم (سارة) فهو عندهم (متهود) من عقب الجارية⁽⁴³⁾ (هاجر)، وعند عرب الجزيرة هو هودي رافض لنبوة العربي حين يكون لكل قبيلة عربية نبي⁽⁴⁴⁾، فهذا النبي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم، وذاك النبي اليميني الأسود العنسي، وهناك النبي النبطي، ونبي بأقصى الجزيرة، اسمه مسيلم، فظاهرة ادعاء النبوة معاصرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁵⁾.

يدخل الناس في دين الله أفواجا، فيبدل النبي صلى الله عليه وسلم أسمائهم الجاهلية، فمن اسمه العاصي يصير محمداً، موصياً بإخلاء جزيرة العرب من المشركين، ولكنه يموت -صلى الله عليه وسلم- فتترد بعض القبائل، فتقاتلها القبائل التي لم تترد إلى أن تردّها إلى الإسلام، مكوّنة شوكة قوية، يغزو بها المسلمون، فينتصرون على الفرس والروم، ويسلمهم (منصور) العربي مدينة دمشق، ويستشهد (صاعد بن تيم اللات)⁽⁴⁶⁾ في معاركهم، ويصالحهم (قيس المقوقس) القوقازي سرّاً.

في (ثلاثية محال) تُسمى الشخصيات اجتماعياً لغاية مقصودة من الأيوين أو المجتمع المحيط بها، فتحمل أسماء مثل (محمد، نورا، مهيرة، أمل، مفتاح، جون، سالي، سارة، عبدالعال، نورا،...)، غير أن الانضمام لجماعة أيديولوجية معينة يغير الاسم إلى بعد أيديولوجي جديد وبنية نحوية مختلفة تقوم على (الإضافة-الصفة) (أبو بلال، محب الحور، أبو صعب، أبو سلمى،...) في محاكاة التسمية الأيديولوجية السياسية التصنيفية (أسد الإسلام، برس، المعتقل 656، النزيل 14،...).

ويستغل المؤلف أسماء الشخصيات -المشتركة لفظياً- ليشبكها بعبائاته التقويمية، فالسحان (جون) ولقبه (اللوطي)، يمدد للزول أبي بلال شناعة السحن الجديد (جون/تنامو)، بيد أن طبيب الأبدان (جون رايت)⁽⁴⁷⁾، يزرع فيه الأمل بطيبته، وتقويماته للنظام الأمريكي الجائر الموظف الجماعات الإرهابية المسلحة لمصلحته، فتتجلى الاستفادة من المشترك اللفظي للكلمة العربية (جون) التي تعني متقابلات (الأبيض، الأسود) (النور، الظلمة)⁽⁴⁸⁾.

وتزين طبيبة النفوس سارة كلاروس أيام أبي بلال الكثيبة، فتصيرها هانئة لطيفة، إذ توصي الطيبية بتغيير تصنيفه من سجين إلى نزيل، فارتسمت العتبة ب(أيام سارة)، يتباحث أثنائها السجين وطبيبة النفوس عن أصل اسمها (سارة)، فينسبها للعربية، وتنسبها للطبيرة للعبرية، ودليلها ما

ذكر في العهد القديم «تسمين من الآن سارة (ومعناها ملكة)؛ لأنك تسرين القلب»⁽⁴⁹⁾، فيقتنع برأيها أبو بلال؛ ليربطها بالملكات المصريات العظيمات⁽⁵⁰⁾، ويميل الباحث إلى أن للمؤلف قصداً في إبراز بقايا الألفاظ المستخدمة بين اللغتين العربية والعبرية⁽⁵¹⁾.

في (نور)، يشدد الأستاذ أبو اليزيد على الدراسة الأكاديمية لتحليل مضمون الأسماء؛ لأنها ستكشف عن رؤى العالم غير المعبر عنها بين الواقع التعميس والخيال المستحيل عند المصريين فالعرب إلى غيرهم من الأمم⁽⁵²⁾، وترث نورا عن أستاذها علم تأويل الدلالة الأيديولوجية للأسماء، فتشغل نفسها بتجديّل اسم والدها عبدالسلام المنطبق عليه، وله منه النصيب الوافر، بالرحمة الإلهية، ومنه تميم في مفاوز أسماء الله ودلالاتها⁽⁵³⁾، ثم تستنتج نورا من أسماء الشخصيات انتمائها العقائدي ومخططاتها، فتقومها أيديولوجياً، فصدقتها سالي مسيحية طيبة لطيفة⁽⁵⁴⁾، ورجل الاستخبارات الخبيث يودا يهودي لا مسيحي؛ لأن المسيحيين يكرهون هذا الاسم؛ لأنه وشى بالمسيح⁽⁵⁵⁾، وقروب (صقر قریش) ابتلاعي للمكاتب والشركات الصغيرة بحيل قدرة يحميها القانون، مستغلاً تخدير البسطاء بأفيون الخلافة والحكم الإسلامي الذي سيفشل -حسب نورا- لأن وقائع التاريخ تشهد بذلك⁽⁵⁶⁾.

الوسيلة الثانية: المقارنة

مماثلة تقرن بها الشخصية الموقّمة -اتكاء على رؤيتها الأيديولوجية- بين موضوعين أو أكثر لاستنتاج قرار تراتبي، فتميل كفة على أخرى.

في (ظل الأفعى) تشخص الشخصيات الأيديولوجيات المحيطة بها بالتقابل والتضاد عبر تاريخ مزدوجات (الذكورة، الأنوثة)، (المدنّس، المقدّس)، (السطح، العمق)، (الدناءة، السمو)، وغيرها. يُعلّق عبده التغير الأيديولوجي المفاجئ لدى زوجته برسائل أمها، فيرصد ماضيه الأبيض الهادئ الوقور، حيث الزوجة الحنون الملتصقة به ليلياً، وحاضره الرمادي النزق، إذ تنكفى الزوجة على نصوص الترجمة، ورسائل البريد، رغم محاولاته العديدة استرضائها بشراء ما تسعد به الزوجات عادة⁽⁵⁷⁾.

ويلوح بذهن عبده صديقه نايل الخير بالنساء، فيوازن بحسد خفي غبي بين ميراثهما، فوالده الرضي مات دون أن يُسدّد قرضه، مخلفاً له شقيقتين فقيرتين، وأماً مريضة توفيت، فورث عبده عن أبيها بيته ذي الطابقين، أما أبو نايل الأرستقراطي فترك له ثروة نقدية، ومكتباً للتوكيلات الملاحية وشقّتين⁽⁵⁸⁾.

يستغل نايل أصغر الشفتين لصيد عدد وفير من النساء الجميلات الشبقات مقابل حفنة من مال مع مُحَدَّر الهيمان والروقان، ومنهن دلال، فيُفْتَمَش عبده مقارنات بينها وبين زوجته نواعم، فينتصر عبده لعقيلته الغالية، ويؤثر نايل خليلته الرخيصة⁽⁵⁹⁾.

يلاحق عبده انتظام نواعم في الدورة التدريبية عالية المستوى لتطوير معالجات الألفاظ المشتركة من حلّ اللغات إلى الإنجليزية، استعداداً لتفرغها العملي في الترجمة، إذ تذهب إلى مؤسسة (هـ، د، م) سويغات في الأسبوع، ويثمن نايل مواظبة دلال على النادي الصحي للاهتمام بلياقة جسمها، ووفقاً لهذه المعطيات المتخالفة بين شخصيتي (نواعم، دلال) ينتقي مورد الحشيش بخورة مناسبة لما تفتقر له كل واحدة منهما بين (الروقان، الهيمان)⁽⁶⁰⁾.

وفي (عزازيل) صراع ينبثق من المعتقد (الوثني، السماوي) إلى تقابل السماوي نفسه بين مقولتي (الأصل اليهودي، الفرع المسيحي) فانشقاق أتباع الكنيسة الواحدة إلى (مقسية، أنطاكية)، وما تلاها من انشقاقات متلاحقة تنبأ بها فريسي الأقنوم، ولاحقها هامش راهب الرها⁽⁶¹⁾، فيفتش هيبا في كل واردة وشاردة عن التشابه والاختلاف الوثني المسيحي في صياغة الإله بين التوحيد والتثليث، فيخلص إلى نتيجة مفادها أن المسيحية تدور في الفلك التوحيدي للوثنية، وتنحرف عنها في المسار التثليثي رغم ما بينهما من مشابهاً يجلوها أستاذه تيودور المصيصي ونسطور⁽⁶²⁾، مدققاً في ظاهرة التحوير الكنسي للوثنية، فتصير قصة الوزير أحيقار مطابقة لحكاية لقمان الحكيم⁽⁶³⁾، ويتحول تخنيط الجثث في توابيت رخام الجرانيت ثم الخشب⁽⁶⁴⁾ إلى خرافة معجزة جسد القديسين والشهداء وبركات رفاتهم، والمعابد الهائلة إلى أديرة بسيطة⁽⁶⁵⁾، أما التماثيل الوثنية البديعة فهي مسوخ إلهية لأقوام عتوا عن أمر رهم المسيحي⁽⁶⁶⁾.

وينقسم الموقف المسيحي من الآخر (اليهودي، الوثني) على قسمين:

- مُتَشَدِّد يمجّت اليهود ويطردهم من البلد؛ لإهانتهم الإله ووشايتهم بالمخلص، ويستخف بالوثنيين ويستحقّهم، متربصاً اليوم الذي ستخلو فيه المدن من اليهود والوثنيين، وتكون خالصة لشعب الرب المسيحي، فيردّد عوامه متقابلات (المجد ليسوع المسيح، الموت لأعداء الرب) (تهدم بيوت الأوثان، نبني بيت الرب)، مستأنساً بتصرّح يسوع «ماجئت ألقى سلاماً بل سيفاً»⁽⁶⁷⁾، وهو ما تبدى في يؤس مصير أحبائه هيبا (والده، أوكتافيا، هيباتيا)⁽⁶⁸⁾.

- متسامح يظن الخير التمهيدي في الوثنية، ويؤمن بالأصل اليهودي للمسيحية⁽⁶⁹⁾، ونصب عينيه قول المسيح «لا تظنوا أي جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل»⁽⁷⁰⁾، فيهتف أتباعه بهتاف إنجيلي⁽⁷¹⁾ «أوصنا»⁽⁷²⁾ يابن داوود، أوصنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الرب» متعايشاً مع اليهود والوثنيين ومختلف الأجناس داخل سور مدينة واحدة دون أي تفريق أيديولوجي⁽⁷³⁾.

ومن الفارق بين الموقفين انبحست مفاضلات بين الفريقين المسيحيين، يحلوها هيبا في مفارقتها بين أسمال يسوع المسيح البالية، وأشواك آلامه، ويده الفارغة، وكلها علامات للاستسلام والتضحية الفدائية، وبين ملابس كيرلس عمود الدين الذهبية وصولجانه وتاجه وجميعها أدلة على التمسك بتلايب الدنس الأرضي⁽⁷⁴⁾.

وبين شذ وجذب هاتين الأيديولوجيتين، يستفهم هيبا عن الأرثوذكسية (الدين القويم)، «أهي ما يقررونه في الإسكندرية، أو ما يعتقدونه في أنطاكية»⁽⁷⁵⁾، فلا يظفر بإجابة شافية عن قداسة الديانة، وإن انزاح إلى منظومة نسطور.

وفي داخل المنظومة المتسامحة نفسها تنشط الشخصيات لعلاج معضلة هيبا العقائدية، فيعظه نسطور ورئيس الدير (سمعان) بالصلاة، ولكن مفعولهما يختلف، ولهذا دلالتة الأيديولوجية بين رجل الدين الفعّال (نسطور) الذي يشارك في الصلاة الجماعية بخشوع وتدبر⁽⁷⁶⁾ وبين الصلاة الانفرادية، إذ يصلي هيبا السوتورو⁽⁷⁷⁾ قبل وقتها، ويعيدها في موعدها عند سكون الليل إلى أن تأكد أنها لا تفعل شيئاً⁽⁷⁸⁾، ويستغرق سمعان في صلاة متفوقة عميقة، وهو ما أدى إلى فارق في مصير نسطور المقاوم وسمعان الخنوعي.

في (النبطي) تشغل مارية بالمقارنات، فتماثل في مخيلتها بين ما جرى في عرس صديقتها دميانة وما سوف يُصنع في زواجها عارضة الفوارق بين لغتها القبطية ولغة خطيبها العربي ولغة المستعمر⁽⁷⁹⁾، ولكن هبوط خبر خروج الفرس ودخول الروم يُفسد فرحتها، فتصغي لمفارقة الموقف الاجتماعي لـ (أهل الكفر) بين الرأي السياسي لأبو دميانة (الفدية) والديني للكهنة شنوته (القداس)⁽⁸⁰⁾، فتستجدي مقارنات لماضي حروب الفرس والروم، مما يستدعي تساؤلاً تفضيلاً لأهل البلدة البيضاء (الملكانيين) على أهل الكفر (اليعاقبة) يؤدي إلى تشكيك عقائدي عند مارية «أتراهم -أهل البلدة البيضاء (الملكانيين)- هم المؤمنون حقاً، ونحن الكفار»⁽⁸¹⁾، فتقذف به في وجه قس دير العسل

الذي يتطير الشر من لسانه، وهو يقارن بين العقيدتين، عبر ثنائيات (الناقوس/الناموس) (الكنيسة/العقيدة) (الطبيعة الواحدة/الطبيعة الوحيدة)⁽⁸²⁾.

وفي بلاد الأنباط تلمح مارية الاختلافات في العادات والتقاليد عن كفرها القبطي، كما تزودها ردود فعل الإخوة الثلاثة إلى متابعة موقف الأيديولوجيات المختلفة تجاه الأحداث بين ماضي عظيم يصد الأنباط فيه الفرس والروم عن بلاد العرب، وحاضر مشتبك لهم، يستقبلون فيه الأوامر بالنزوح والتعاون اللوجستي مع اليهود لفتح مصر، فتستغرب مارية تغير التعامل الإسلامي مع اليهود من القتل والسبي إلى الأمر والنهي، فتسأل مارية زوجها عن أسبابه، فيبرره سلامة بتفضيلات في الأهمية والعراقة⁽⁸³⁾.

في (محال)، ينبش الزول مقارنات بين أنساب الفتيات النوبية الأصل بفرعيها الفجكي/المثوغي، والريفاية الصعيدية الوافدة، فيستعلم من سهيل عن الفوارق بينهم، فيسهب الأخير في بيان فلسفته التقويمية للمرأة، أما الأول فيمضي النفس في فتنهن بالحلال، فيقرهن بنورا ذات الأصل الرفي، ليصل إلى نتيجة مفادها أنها لا بد أن تكون نوبية⁽⁸⁴⁾، فيغدق عليها من تشبيهات الإرشاد السياحي، إذ يضارعها ب(ميرت آمون) الأبنة الرابعة لرمسيس الثاني، وعند تحوله إلى منظومة فواز يماثل بين مهيرة وتراث أجدادها الإسلامي، مقارناً بينها وبين نورا، فتميل كفة الزوجة على الحبيبة.

وفي سجن (جوتنامو) تطفو مناقشات لقضايا أيديولوجية بين أبي بلال ورفقائه المساجين - خاصة محب الحور⁽⁸⁵⁾ - تعتمد في معيارها التقويمي على طبيعة فهم النظام الديني للإسلام، فتتردد صفات متقابلة ك(الصلاح، الفسق)، (الطهر، النجاسة)، (الاعتدال، الانحراف)، (الإيمان، الكفر)، (أولياء، أشقياء) في اتجاه المقارنة مع منظومة السجان، ثم تنحرف ليتبادها المساجين فيما بينهم⁽⁸⁶⁾.

يسجن 32 الحارس أبا بلال في سجن انفرادي؛ لأنه يثير الفوضى ويخالف قواعد السجن بالآذان، فيلحم السجان بأن ذلك نظام الله للمسلمين، يلتقي ثمة بالمجندة سالي، تناقشه مقارنة بين الجنس عند المسلمين وغيرهم؛ لتوقعه في حبالها، فيستعصم بالله، فتزني أمامه بصديقها الأشقر الذي يفضح رسوب محب الحور في اختبار المرأة الداعية للزنى ذات المنصب والجمال، فينكسر ما بين الصديقين من ود وألفة.

في (نور)، تقيم نورا مقارنة بين كينونتها الماضية حين كانت مغناطيساً لكلمات الغزل وصيرورتها الحاضرة حيث صارت عجوزاً ملتفة بالأردية الفضفاضة التي لا تستطيع خلعتها في حي شعبي يحاسب المرأة على سكناها⁽⁸⁷⁾، فتمارس نورا لعبة الاتكاء على آراء أستاذها أبي اليزيد المشرف على رسالتها الموسومة بـ ((مفهوم الحقيقة الاجتماعية عند دوركايم ومفهوم الخبر عند ابن خلدون، دراسة تحليلية مقارنة))⁽⁸⁸⁾ للأدلاء بأيدولوجيتها التقويمية، فبعد أن تنقل رأيها الأيديولوجي تدعمه بموقف مساند لأستاذها المشرف أبو اليزيد، وهو ينتقد الماضي، ويستشرف الآتي، منطلقاً من المحيط المجتمعي، وتشكله بيد الاتجاه السياسي لتمرير أفكار تريح الأول وتدعم الثاني، لِنَبْزِي له نورا مؤكدة رأيه بثنائيات متقابلة تُجَلِّي فلسفتها الإنسانية بين (العلم، الجهل) (الأنا، الآخر) (الماضي، المستقبل)⁽⁸⁹⁾.

الوسيلة الثالثة: الحيونة

يتمتع الروائي من سعة اللغة في إعطاب إنسانية الشخصيات الروائية، وتشغيل حيوانيتها، لتقويمها.

في (ظل الأفعى) تتناوب الشخصيات على إنتاج رؤيتها الأيديولوجية الحيوانية⁽⁹⁰⁾ بين التعظيم والتحقير للأثنى، وينحاز الراوي للمنظور الإكباري للمرأة.

تبتدأ الرواية بترانيم جلال الأفعى واتحاد الأثنى معها:

«... وحدي، أنا

سأبقى، وأصيرُ..

أفعى، خفية، عصابة»⁽⁹¹⁾.

هي ترنيمة ترسلها الأم، وترتلها الابنة كاملة، فتصل إلى وعي الرجل (عبده) ناقصة فلا يكاد يفقهها⁽⁹²⁾، ليظل جبروتها الأنثوي، ووهن استيعابه الذكوري، مستأثراً على الرواية.

تنفي الأثنى (الأم، نواعم، دلال) مقدرة الذكر (عبده، الجد، نايل) على هزيمتها، فتماهى نواعم مع هيئة الأفعى المبتوثة في رسائل أمها بـ (الجلال الممزوج بالجمال، الانتصاب التحذيري، الوقفة المهيبة، النظرة الإزدرائية، الدفاع المبرر، النهشة الخاطفة)⁽⁹³⁾، وإن بدت للذكر (عبده،

الجد) في لحظات صمتها مثل نعجة تُحش أو كلبة تتأوّه⁽⁹⁴⁾، ويبدو هو لها ك(ضبع نخيل أو قطة ضالة أو فأر محصور)⁽⁹⁵⁾، أما دلال فتبرز جدلية الصياد الذكوري والطريدة الأنثوية⁽⁹⁶⁾.

وفي (عزازيل) يفرّق الراوي هيبا بين مدرستي كيرلس ونسطور، فيخص الأولى بالملاحم الحيوانية التقويمية السلبية ممهداً لها بتقويم استباقي «في الإسكندرية، ما هو أشد خطراً من الوحوش السارية ليلاً، والهائمة فجراً»⁽⁹⁷⁾ فتلازم هذه المنظومة دوال (الأفاعي، العقارب، الأسود، الذئاب، الضباع...)، وأفعالها العدائية (الفحيح، اللسع، النهش، الرّفس، اللّهات، الافتراس، الاقتناص...) ⁽⁹⁸⁾، ويمنح صفات الوداعة للمنظومة الأخرى، فربهاها وأساقفتها خراف لطيفة تضمها حظيرة الرب، وطيور مترنمة في عش الإله⁽⁹⁹⁾، وخلايا نخل⁽¹⁰⁰⁾ تعمّر الإيمان بحلاوة الشهد والعلسل.

ويجלו الأسقفان نسطور وكيرلس وجهتي نظرهما، فيُؤمّان بعضهما، وينحاز هيبا لمنظومة معلمه نسطور المتألم على الدماء المسفوكة في الإسكندرية، فهيبتا قديسة من وجهة نظر هيبا، بريئة عند نسطور، في حين ينعتها كيرلس ورهطه بتقويمات سلبية فهي (شيطانة، أفعى)⁽¹⁰¹⁾.

ويسم هيبا أوكتافيا بوسم حيواني خاص يتولد من طبيعتها الجنسية الموافقة لرغباته في لحظة غوايته، فهي قطة بريّة تمور من تحته وفوقه⁽¹⁰²⁾، بينما تتخذ أوكتافيا موقفاً عاماً تجاه الرهبان المسيحيين فهم عندها كالجراد، يتكاثرون بسرعة، فيهلكون الحرث والنسل، مخلفين ورائهم كآبة وقسوة⁽¹⁰³⁾، كما تعكس الأثر التقويمي للحيونة بالمونولوج المؤسلب (skaz): إذ تتكئ وجهة نظرها على التعبير الحيواني المسيحي بغرض تقويمه⁽¹⁰⁴⁾، فتقول لهيا «جار لنا من المسيحيين الأغبياء... قال: الصقلي يسقي الأفعى سُمّاً»⁽¹⁰⁵⁾، وهو منظور ينتهك رؤية أوكتافيا لقدااسة الأفعى الملتفة على عصا الاله إسكليوس، أما الموقف الحيواني من مرتا فين السمو الرهباني والانخطاط الغرائزي عند هيبا، ففي الحالة الأولى تتبدى له خنزيرة قدرة، وفي الثانية ترفرف حمامة للسلام والحب⁽¹⁰⁶⁾.

وفي (النبطي) رؤية تنبثق من فرضية دوران الحيات عنده، فالروح خالدة والأجساد فانية، «فإن كانت الحياة السابقة شراً وظلماً، بقيت الروح بعد الوفاة حيناً، حبيسة صخرة أو حجر... وبعد هذا الحين ترتقي، فتحل بجسم حشرة أو نبات... ثم ترتقي إلى جسم حيوان غير آدمي... وتعود أخيراً إلى النوع الإنساني... فتصير الروح نفساً إنسانية»⁽¹⁰⁷⁾، وبهذا يرتب النبطي السلم الحياتي للكائنات من

الجمادات إلى النباتات وحشراتهما إلى الحيوانات المفترسة، فالأليفة، فالتديات وصولاً إلى الإنسان، مبرزاً معتقداته تجاهها، وتوظف مارية هذه العقيدة لتحقق في أعين الشخصيات، فتستشف ما ورائها من شعور إنساني، وما سوف تصير إليه من كينونة حيوانية سلباً وإيجاباً⁽¹⁰⁸⁾.

ووفقاً للمعتقد المسيحي، فالجسد يعود تراباً عند موته، أما الروح فخالدة تعود إلى بارئها⁽¹⁰⁹⁾، وعند اليهودية يتراكم هذا التراب ويتقَّب إلى أن تمتلئ الأرض جبلاً، وعندئذ يخرج ماشيها المخلص، أما الروح -عندها- فتحسن عند الرب أو تُمسَخ قردة وخنازير⁽¹¹⁰⁾، فيبرئ يوسف زيدان المسخ عن الجسد ويلزمه الروح، مؤرخاً لعقائد منقرضة أخذت من اليهودية والمسيحية والوثنية.

وفي (محال)، يغدو ابتداء ضَرْب حيواني هواية يمارسها الراوي وشخصياته، فالأب والحاج بلال - عند الراوي- يشبهان طيور الحقل الكادحة الناقرة دوماً لإيجاد الرزق القليل الحلال، بينما السائحون زوار الآثار كالعصافير المهاجرة الملونة الأنيقة المتنقلة بين جزائر النيل، وسائقهم البائس المسكين التحيل صابر ذو الأسنان المتكسرة كالفار يسكن الجحر ويسكنه الذعر، وتاجر السلال بدين مستدير الوجه يماثل القط، أما في جنوب السودان، فالرجال السكارى المترخون يبدون بهيئة قردة الغوريلا في الغابات المظلمة⁽¹¹¹⁾.

ويتحرى الأب والحاج بلال وسهيل التغيرات السلوكية والشكلية للتطورات الحيوانية، فيحيرهما تغير الطباع الحيوانية بعد هذه السنين، ليستنتجا أن بين الناس والحيوانات طباعاً مشتركة، وتبدل - وفقاً لسهيل- سحنة الفئران إلى أرانب، فيتخذها البشر مادة لسد جوعهم⁽¹¹²⁾، ويفتش الزول عن النظائر الحيوانية للشخصيات، فتبتدى له ابنة الخال حمدون بطة صغيرة سوداء، ويرى نفسه طائراً سعيداً مهاجراً ما دامت نورا عشه الآمن⁽¹¹³⁾.

وفي جونتنامو ينتقي أبو بلال حيوانات ماثلة للحالة الأيديولوجية له وللشخصيات الأخرى (ثور، كلب، فرس النهر، خنزير، حيوان، ثعبان، غزلان، ماعز، خروف، ذئب، غنمة، شاة، غنلة، خيراتيت)⁽¹¹⁴⁾، وتنسب الأصوات الحيوانية السلبية لمنظومة الحراس (زعيق، فحيح، نعيق، نحيق، رفس، نطح)⁽¹¹⁵⁾، كما ينقل التعبيرات الحيوانية للشخصيات المتحاورة معه مبيناً موقفه الأيديولوجي منها⁽¹¹⁶⁾.

وتنقَّب نورا عن الشبه بين الشخصية والحيوان، فتبدو كأنها كاميرا لها ميزة (الفوتوشوب)، فتمحو المؤثرات التجميلية (مكياج، صبغ، قص)، وتضيف الملامح التقبيحية (ترهل الشفتين، غلظ الأنف،

غور العينين، خشونة الجلد، تجعّد الوجه)، وتنسب لها الحركة الحيوانية (تمطى، نفخ)⁽¹¹⁷⁾ وهو موقف تقويي سلمي يمسح إنسانية مفتاح وعزة.

وتدور الدائرة لتشويه سيمياء نوراً نفسها جراء تحيّلها لوجهة نظر مجتمعتها لها بين ما كانت عليه (غزال) وما صارت إليه (معزاة)⁽¹¹⁸⁾ في مسعى لإظهار نفاذ القدر في الشخصيات.

الوسيلة الرابعة: الخطب والمحاضرات

التجأ يوسف زيدان إلى الخطب والمحاضرات لإظهار التقويم الأيديولوجي، إذ يتولى إذاعتها فرد متميز له كلمة ذائعة في جماعته، فيُدلي بتقويم أيديولوجي معين يتوافق أو يتخالف مع مستمعيه.

في (ظل الأفعى) تُلقى أم نواعم محاضرة عامة عن رؤيتها التقويمية السلبية لحركة النساء المصريّات المتنوّرات المطالبات -منذ مائة عام⁽¹¹⁹⁾- بإفراغ المرأة من الأنوثة الحقّة، وحشوها بالذكورة الباطلة، فتَنصَّبُ على الأم لعنات الأيديولوجيا السائدة (الاجتماعية = النسوية، السياسية = العسكرية، الفكرية = الدينية) بين الرخاوة الأنثوية والصلابة الذكورية⁽¹²⁰⁾، مما يضطرّها للسفر خارج البلاد، ففيه تقويم أيديولوجي يشي بالظروف التي تدفع العلماء إلى مغادرة الوطن الشرقي صوب أوروبا الغربية.

وفي الغربة تدفع آلام التجربة الأمّ إلى التخصص في الاحتقار وبنيتة السائدة، علّها تفهم ما جرى لها خاصة، وما يجري لنساء بلادها عامة، وذلك بتحليل الطبيعة الدائرية للتاريخ العربي والإسلامي، من احتقار الفرد لذاته، إلى من دونه حتى تلف المجتمع كله⁽¹²¹⁾.

في (عزازيل) تُستعمل مدركات الراهب هيبا وموقعه الزمكاني في تبيان الأيديولوجيات المتصارعة حول (قداسة الديانة) متجسّدة في السيد المسيح، فعلى أبواب الإسكندرية ينتبه لزعيق قس أحش الصوت -محروس بجندي سمين صامت- يمنح البركة المخصّصة لخراف الرب فقط باسم محبة يسوع الرب الإله المخلّص، فيقومه هيبا -بعد انصرافه- بالزهو غير المنسجم مع المسيحية المتواضعة، ويجابه الوثنيون مقاطعين، وكاشفين في الآن ذاته عن مبدأ الكنيسة السكندرية في إظهار المحبة في خطبها خارج الكنيسة، وإبطان الكره في داخلها، وهو ما يجليه رعاها التابعين لها من طرد وإقصاء ورحم وقتل للآخرين⁽¹²²⁾.

وتحت رعاية السلطة المدنية في مسرح الإسكندرية الكبير، يخجل هيبا من ثيابه الرثة وسط المتأنقين من الرجال والفاتنات من النساء، المتكلمين باليونانية الفصيحة المتأدبين في معاملاتهم، الحاضرين لسماع محاضرة الفيلسوفة هيباتيا السامية بالإنسانية واحترام المخاطبين وملاطفتهم، ومشاركتهم لآخر التحديثات العلمية، جامعة بين الرقة والجلال، فكأنما هي المسيح المبشر برب رحيم⁽¹²³⁾.

وفي كنيسة القمح ينحشر هيبا -مجبراً- كل يوم أحد طيلة ثلاث سنوات بين جيش الحائرين ووارثي التوبة وجمع المصارعين ومحبي الآلام، مصغياً لخطب كيرلس النارية المتهمة بتحريض المستمعين وإدانة المخالفين بآيات إنجيلية وقرارات مجمعية بصفته حامياً للدين القويم، يوزع الصفات الدينية والأوامر الشرطية التقويمية، فتدئس الوثنيين الأنجاس يقتضي من جنود الرب تطهير البلاد منهم⁽¹²⁴⁾، وبهذا يُدين يوسف زيدان الأسقف كيرلس في حادثة مقتل الفيلسوفة هيباتيا، ويكشف جرثومة التعصب في الكنيسة السكندرية.

وفي كنيسة القيامة يتفكر هيبا في الأسرار والطقوس الكنسية، ثم يستأذن القس المصيبي، ليغترف بعض معين عظة الأسقف تيودور عن الخطيئة الآدمية والفداء الإلهي وعلامة العبور البشرية بينهما، حيث تتوزع صفات الصراع الكوني بين الإنسان البريء الأصل المخطئ والشيطان اللعين المخادع الموسوس⁽¹²⁵⁾.

في الدير السماوي يتناهى إلى مسامع هيبا خطبة الرسامة الأسقفية لنسطور الموجهة للإمبراطور، القائمة على مبدأ المصلحة الشرطية بين الدين والسياسة، فيتجلى الإمبراطور مالكا للأرض والأسقف (نسطور) نائبا عن السماء، وهو ما تبرزه متقابلاتها أعطني الأرض خالية من الهرطقة، أعطك مفاتيح السماء ونعيمها المقيم) (ساعديني ضد الكفر، أساعدك ضد الفرس)⁽¹²⁶⁾، فيتعجب هيبا لتغير حال معلمه المستقيم، إلى أن يطلبه الأخير فيرحل إلى أنطاكية للقاء نسطور، فيفاجأ هناك بأن خطبة الرسامة الأصلية تتمحور مفرداتها حول تنزيه الإله المتعالي عن صاحبة والولد، لا عن الملك والسوطوة، كما يُشاع⁽¹²⁷⁾.

في (النبطي) يتجمهر أهل كفر النملة الفقراء لصخب آحاد مُعتادة مُعادة، تبرئ اليعاقبة المؤمنين، أصحاب الدين القويم، والسلوك المستقيم، وتمنحهم النعيم عند الرب الرحيم، في مقابل إدانة أتباع الملك، الكفار الأغنياء ذوو الدنيا الفانية، من ينتظرهم الجحيم المقيم في الآخرة⁽¹²⁸⁾.

وينتھز أنصار الملك فاقة الكفر، فيحاولون إغواء أهله بأجولة القمح، وزكائب الشعير، وموائد الطعام العامرة بما تنوع من المأكولات لحضور قُدَّاسهم، مما أغاض الكاهن شنوته، فجعل يطرد الأطفال إلى بيوتهم، ويحذر الكبار بآيات إنجيلية، ويخوِّفهم بأن الطعام مع الكفار في أيام الصوم خطيئة لن يغفرها الرب يسوع المسيح، فأمتنع بعضهم، وأكل آخرون دون أدنى تأثير في معتقداتهم⁽¹²⁹⁾.

في (ثلاثية محال) تتوزع الخطب والمحاضرات التقويمية على أنماطها الثلاثة (الاجتماعية، السياسية، الفكرية)، فالسياسية منها مترعة برتبة إدانات المتكلم المتغيرة -حسب المصلحة- للمخاطب والمستمع بمفردات مثل (تجسيد للشر، عدو، محارب، مجرم، محطم، عهر، فساد، مراوغة، فوضى...) ⁽¹³⁰⁾ يتولاها فرد من المنظومات المتصارعة (تنظيم القاعدة، الأمريكان، الرؤساء، الجواسيس...) ⁽¹³¹⁾ اتجاه الأخرى.

أما الخطب الدينية، فمتراوحة بين الاعتدال الوعظي الإيجابي عند أبو بلال والتشدد التضليلي السلبي لدى أبو صعب، والمساجين بينهما بيئة مصغرة للمجتمع الإسلامي في تماسكه وترعزعه، يصرف خطيب المسجد الزول سمارة (أبا بلال) عن الإقدام على قتل نفسه بحديث نبوي ⁽¹³²⁾، فيتأثر أبو بلال بآليته الخطابية فيطبقها للمثل الجماعية، وزرع الأمل التمكيني في نفوسهم أثناء تولية خطبة الجمعة، فيمحور خطبه حول الأخوة الإسلامية والصبر على الأذى في سبيل الله، وبينما كان يمعن فكره في اختيار موضوع الجمعة التالية، أقدم ثلاثة مساجين على الانتحار بتحريض من أبو صعب، فلم يجد أبو بلال ما يقوله في منبره، فالتقط أول آيات مرت بخاطره ⁽¹³³⁾.

وتزخر خطبنا أبي صعب بالإدانة والتكفير والاستتابة للآخر بسلاح ما هو ثابت في القرآن ومعلوم من الدين بالضرورة ⁽¹³⁴⁾، مما أفضى إلى تفرق كلمة الجماعة وانقسامها على ذاتها، رغم تذكير أبي بلال بالآية الكرمة ⁽¹³⁵⁾ التي تدم التشتت المجتمعي ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ⁽¹³⁶⁾.

وفي (نور) يُجمّد خطباء الجوامع وقساوسة الآحاد -على حد سواء- الفقر، فيلمّحون دون تصريح بالمقابلة بين (شروع الأغنياء أعداء الله، وداعة الفقراء أحباب الله) ⁽¹³⁷⁾ لتمرير الإيديولوجيا

الخنوعية في المجتمع، وتُعمل نورا فكرها في فهم وتفكيك دروس الثانوية العامة ومحاضرات الجامعة لتقويم المحيط المجتمعي، فتناقش مدرس اللغة العربية حول الفرق المصطلحي بين الرجل الأبتز والمرأة العاقر، فيتنمر عليها، وتراجع جلسات أستاذها أبو اليزيد، الدافعة لمزيد من العلم عن أصل الإنسان والحياة⁽¹³⁸⁾.

الوسيلة الخامسة: الأحلام

تسيطر قضية ما أو عدة قضايا على نمط تفكير الشخصية الروائية، فتتمحور أحلامها حول رغباتها أو مخاوفها الأيديولوجية تجاهها.

في (ظل الأفعى) يُفرج الحلم مضجع الأم فتقوّمه بنعوت الأيديولوجيا الأنثوية (الصفاء، الامتلاء، الإزهار)⁽¹³⁹⁾، بينما يقض مرقد عبده، فينعت به (المفرغ، الغبي، الخانق)⁽¹⁴⁰⁾، فيظلان مترقبين لتحقيقه لاسيما ساعة الفجر⁽¹⁴¹⁾، فالحلم بشارة وإنذار للشخصية، ومنه ينبثق تأويل الأم، فتتبدد خشيتها على ابنتها، ملتحفة بأفكار الأمومة وإحساسها الجارف ويقينها بأنها ستري الابنة قريباً⁽¹⁴²⁾، أما عبده فينجاب له مصيره المخزي كلما اقتربت منه نواعم، وهو ما كان إذ تغادر الزوجة نواعم مُهينة ذكوريته بضربة مزلزلة على مؤخرة رأسه، وعضة دامية أسالت دم قفاه، مُقبلة على سمو أمها، فبعد أن كان فعل الإخصاء إعاشة لراهب منطلق في خدمة الآلهة وتمجيد للرئة⁽¹⁴³⁾ صار رحلة تحقير للذكر وانطلاق إلى رحاب الأم الأنثى.

أما في متن (عزازيل) فراهبها ينعم ويعاني من بشارات آتية وأهوال منصومة في مناماته، فيأنس بالأولى فيسعى إليها، إذ توجهه إلى قرارات متناصة مع إيمانه الإنجيلي⁽¹⁴⁴⁾ بقداسة الديانة فيرى -بعد سنوات تيهه الثلاث- يسوع المسيح «في حلم ناصح وهو يملأ بأنواره السماء، قائلاً... إن كنت تبحث عني أيها الحائر الضال، فاترك نفسك وراءك، ودع الموتى وتعال لرؤيتي في أورشاليم، كي تحيا»⁽¹⁴⁵⁾، ويستعيد من الثانية، مجاهداً على نسيان مآسي أحبائه الدالة على دناسة التدين، فيحلم بوالده يخرج شباكه خالية من السمك، فلا يستطيع أن يهب نصفه لسدنة المعبد، ووالدته وثنية تستصرخه؛ لينقذها من دوامات البحر باسم بوسيدون لا مسيحية واشية، وهيباتيا تمارس علم الكيمياء المرتبط بالسحر حينها مع أنها لم تشتغل به في واقع طفلة حياتها، في إشارة لتبرئتها من التهم المسيحية الموجهة إليها⁽¹⁴⁶⁾، وفي هامش (عزازيل) يروي راهب الرها مباركة تيودور المصيصي لرحلته الأورشاليمية، ودعوته للمكوث فيها بقية عمره⁽¹⁴⁷⁾.

وتستغل المنظومة المسيحية المتشددة في (عزازيل) الأحلام لتمرير أيديولوجيتها، فالأسقف ثيوفيلوس السكندري يورد الأوصاف والأقوال الجريئة عن السيدة مريم العذراء المتماهية مع ألوهية المسيح غير مستند إلا لدعواه بأنه رآها في منامه⁽¹⁴⁸⁾.

وفي (النبطي)، ثمة نوعان من الأحلام الملازمة لطبيعة مارية الانتقالية من حلم إلى آخر، ومن عنصر أيديولوجي إلى آخر، وعلى القارئ أن يمعن فكره حتى يمسك الخيط الرفيع بين تلك المشتتات، فالأولى قوية مليئة بالشخصيات كأنها الحقيقة المترابطة بين موضوعاتها، والأخرى هشة قصيرة لا معنى لها ولا تجانس بين أجزائها⁽¹⁴⁹⁾.

ونُظِمَت الأحلام لِثَم القِبلَة الأيْدِيُولُوجِيَة لَدَى شَخْصِيَّات (النبطي) الأُخْرَى، فأم البنين تحلم كل ليلة باللات حتى تلد، فتترعرع شخصية النبطي مع ثيمة الحلم المتكرر لأمه، فيختلف الأبوان في تأويله والسعي إليه بتفاوت رؤيتهما للمستقبل وطموحهما الأيديولوجي وآلياته، فيسمى (يونس)⁽¹⁵⁰⁾، ويختصه الأب بالثقيف اللغوي والتدريب الفروسي ويلقبه بالنبطي، ويضرب أخوته إن نادوه بغير ذلك، وظل -الأب- يوصي به حتى وهو على فراش موته؛ لأنه سيكون ملكاً للأنباط، يُعَيِّدُ مجدهم العتيق، وأم البنين تقول بل نبي يرفع شأن العرب كافة⁽¹⁵¹⁾، ويغط الزوج سلامة -بعد إسلامه- محتضناً سيفه، ويهذي بكلمات (الحرب، وقت الإسلام، ربح، حان، نبي، أوان السفر)⁽¹⁵²⁾، فتتحور عقليته التجارية من استثمارية إلى حرية.

في (ثلاثية محال) تضحو الأحلام والكوابيس قافية تقويمية للشخصيات، فيبصر الزول مهيرة تتعري في حانة أوزبكية⁽¹⁵³⁾، ومدافع موجهة لتهدم تماثيل الحضارة الفرعونية، والشيخ نقطة يوجهه ويرشده ويوصيه بالمبادئ الصوفية، بيد أنه يعاقبه عقاباً شديداً عند ارتكابه أي خطأ⁽¹⁵⁴⁾، ويستمر الحال على هذا المنوال إلى أن تثير الأحلام عبد الله المكي فيتزخف ويلتصق بمجدار أبي بلال، مسألاً له عن الشيخ نقطة الأكبري، فيستغرب أبو بلال ويحييه (شيخ) فيشبهه المكي بالجن، فينكر أبو بلال وجودهم، مما يستوجب تكفيره⁽¹⁵⁵⁾.

وتنجاب كوكبة أحلام نورا عن رغباتها في الشخصيات والأمكنة المقدرة لكرامة المرأة (والدها عبد السلام، حبيبها سمارة، صديقتها ياسمينه)، ومخاوفها من المزرة بما مثل (شلي القهوجي، جعفر الفران، الخليج) فتصمم على منع الأذى عن ابنتها⁽¹⁵⁶⁾.

النتائج

بتأمل الباحث لروايات يوسف زيدان وزعها الباحث على مظانها التقنية، فنخص ظل الأفعى بالمونوفونية، حيث لا صوت يعلو فوق صوت الأنثى، وعمّم بقية الروايات بالترانسفونية، فعزّز بل يتناوب فيها عدة رواة وإن غلب صوت الراهب هيبا الباحث عن قداسة الديانة، وفي النبطي شخصيات تروي منظورها الخاص الذي يفوقه منظور مقصود لبيان قيمة النبوة، وفي ثلاثية محال ثلاثة رواة يتداخل في روايتهم أصوات عديدة بحثاً عن السمو الإنساني، وقد تجلّى ذلك عبر وسائله تقويمية يستند عليها الروائي لا يصلح هدفه التقويمي وهي التسمية والمقارنة والخطب والمحاضرات والحيونة والأحلام.

ويقترح الباحث التعمق في دراسة الأشكال التقويمية، ووسائلها التي يفترض أنها تحوي شبكات دقيقة، تحتاج طول تدبر وإعمال عقل.

الهوامش:

- 1 يُنظر: شعرية التأليف، ص 11-15، 113-114.
- 2 يُنظر: شعرية التأليف، ص 21، 146.
- 3 المونوفونية (Monophonic): خط لحي متفرد دون أي مزاحمة من صوت آخر، يُنظر: معجم الموسيقى، ص 97.
- 4 يُنظر: شعرية التأليف، ص 20-21. التبثير في رواية القندس، ص 410. قصدية وجهة النظر في الخطاب السردى، ص 449.
- 5 يُنظر: شعرية التأليف، ص 20. الأنا وعلاقتها في (الحياة خارج الأقواس...)، ص 160.
- 6 الترانسفونية (Transphonic): إعادة عزف فقرات موسيقية مع نقلها من طبقة صوتية إلى أخرى، يُنظر: معجم الموسيقى، ص 154.
- 7 البوليفونية (polyphony): نسيج موسيقي قائم على استقلالية كل صوت عن الأصوات الأخرى، يُنظر: معجم الموسيقى، ص 75، 119.
- 8 يُنظر: الفن الروائي ص 45. الرؤية السردية في رواية (عائدون)، ص 458.
- 9 يُنظر: ظل الأفعى، ص 12-15، 18-22، 27، 41، 67، 81-82، 85-86.
- 10 يُنظر: ظل الأفعى، ص 17.
- 11 يُنظر: ظل الأفعى، ص 12، 103-108.

- 12 هكذا ترد الآية الكريمة على لسان الجد الباشا، ولم يجد الباحث أي قراءة قرآنية لها، بينما هي في القرآن الكريم: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾، [يوسف، آية 6]
- 13 يُنظر: ظل الأفعى، ص 35-37.
- 14 ظل الأفعى، ص 109.
- 15 يُنظر: ظل الأفعى، ص 21-22.
- 16 يُنظر: ظل الأفعى، ص 14-15، 18-19، 25-28، 30-32، 60، 76، 84-85، 88-90.
- 17 ظل الأفعى، ص 21.
- 18 ظل الأفعى، ص 77.
- 19 يُنظر: ظل الأفعى، ص 22.
- 20 يُنظر: تاج العروس، باب اللام، فصل الدال مع اللام.
- 21 يُنظر: ظل الأفعى، ص 23، 36، 67، 69، 104.
- 22 يُنظر: الرواية النسوية العربية سلطة المركز وتمرد الهامش، ص 5-45.
- 23 يُنظر: العنف ضد الأعدام في الرواية اليمنية، ص 145-163.
- 24 يُنظر: ظل الأفعى، ص 107، 113، 115، 117.
- 25 عند مراجعة الباحث للتوراة، ألقى أن اليهودية لا تحرم القضاء على النساء، وإن أكدت عدم صلاحيتهن لشؤون الدولة، يُنظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر القضاة، 4: 4.
- 26 يُنظر: ظل الأفعى، ص 153.
- 27 يُنظر: ظل الأفعى، ص 106-107، 125-126، 159.
- 28 أوكتافيوس (Octavius) : اسم انتمائي إلى عائلة رومانية عريقة أنجبت قادة عسكريين، منهم ماركوس أوكتافيوس المنتصر على اليونانيين في معركة أوكتيوم، المسيطر بعدها على مصر عام 31 قبل الميلاد، يُنظر: موسوعة السياسة، ج 1 ص 412.
- 29 يُنظر: عزازيل، ص 127.
- 30 لم يجد الباحث أي أوصاف خارجية مميزة للمسيح في الكتاب المقدس.
- 31 يُنظر: عزازيل، ص 201.
- 32 يُنظر: عزازيل، ص 181.
- 33 يُنظر: عزازيل، ص 90-91، 140.
- 34 يُنظر: عزازيل، ص 178، 194.
- 35 يُنظر: عزازيل، ص 206.

- 36 يُنظر: عزازيل، ص 251، 272-273، 275.
- 37 يُنظر: عزازيل، ص 190، 430.
- 38 باحوم (Bakhom): النسر المقدس، بسنتي (Basanti): الأساس الديني، بنيامين (Benjamin): الأبن السند، يُنظر: إن لله في الأسماء قصدا، ومعاني بعض الكلمات، ص 46-47.
- 39 النبطي، ص 244.
- 40 يُنظر: النبطي، ص 354.
- 41 يُنظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، 9: 19.
- 42 سارة زوجة النبي إبراهيم، وأساس نسله الذي سيرث الأرض، أما أستير فيهودية مسبية، يتيمة الأبوين، وقد وردت في سفرها التوراتي مُخْلِصَةً لليهود، بعد زواجها من الملك الفارسي أحشويروش، ويسعى يوسف زيدان إلى استغلال التسمية الأيديولوجية ل(سارة، أستير) في إظهار فوارق النظرتين (اليهودية والمسيحية)، يُنظر: الكتاب المقدس، العهد القديم سفر التكوين، 17: 15، 16، 17، الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أستير، النبطي، ص 179-338، 183.
- 43 يشدد يوسف زيدان على أن معنى الجارية هو الفتاة الصغيرة لا الأمة، وبهذا يكون للعرب حق شرعي في وراثة النبي إبراهيم مثلهم مثل اليهود، فلا تمايز بينهم، يُنظر: النبطي، ص 189، 196-197.
- 44 يُنظر: النبطي، ص 261.
- 45 يُنظر: النبطي، ص 324.
- 46 لم يجد الباحث أي وجود تاريخي لهذه الشخصية، وكل ما ألفاه إشارة ابن الكلبي إلى تعظيم العرب للريرة اللات وتسميهم بها مثل (زيد اللات، وتيم اللات)، وهو ما يرمي إليه يوسف زيدان، بيد أنه يزيد عليه إدانة للمشاركين في حروب المسلمين ضد الروم، يُنظر: الأصنام، ص 16، 18، 30.
- 47 في كلمة (رايت) تقوم إيجابي للشخصية فهي تعني (صحيح، حسن، جيد).
- 48 يُنظر: تاج العروس، باب النون، فصل الجيم مع الواو.
- 49 يُنظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، 17: 15.
- 50 يُنظر: جونتنامو، ص 235، 271.
- 51 يُنظر: إن لله في الأسماء قصدا، ومعاني بعض الأسماء، ص 60.
- 52 يُنظر: نور، ص 144-145.
- 53 يُنظر: نور، ص 14، 15، 249.
- 54 يُنظر: نور، ص 195.

- 55 على الرغم من وجود رسالة باسم يهوذا، أحد تلاميذ المسيح المخلصين، رسالة تشجع على الجهاد في سبيل الإيمان في وجه الدجلة والفساديين، يُنظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة يهوذا.
- 56 يُنظر: نور، ص 240.
- 57 يُنظر: ظل الأفعى، ص 17، 55، 59.
- 58 يُنظر: ظل الأفعى، ص 62-63، 83-84.
- 59 يُنظر: ظل الأفعى، ص 54، 86.
- 60 يُنظر: ظل الأفعى، ص 16، 53-56.
- 61 يُنظر: عزازيل، ص 409-411.
- 62 يُنظر: عزازيل، ص 42، 67.
- 63 يُنظر: عزازيل، ص 246.
- 64 يومئ يوسف زيدان إلى انتقالية آليات التحنيط من الجرانيت إلى الخشب وفوارقها بين الطبقات الراقية، مما أفضى إلى تدهور صناعته، يُنظر: عزازيل، ص 136، 238، موسوعة مصر القديمة، ج 9 ص 437-438.
- 65 يُنظر: عزازيل، ص 238، 242، 248، 313.
- 66 يُنظر: عزازيل، ص 83.
- 67 الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 10: 35.
- 68 يُنظر: عزازيل، ص 52، 85، 89، 90، 190-191، 194-195.
- 69 يُنظر: عزازيل، ص 58-59، 211.
- 70 الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 5: 17.
- 71 الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 21: 9.
- 72 أَوْصَانًا: أنقذنا، يُنظر: قراءة توضيحية في الإنجيل، ص 33.
- 73 يُنظر: عزازيل، ص 27، 31-32، 68.
- 74 يُنظر: عزازيل، ص 182.
- 75 عزازيل، ص 426.
- 76 يُنظر: عزازيل، ص 53.
- 77 سوتورو: الستر، يُنظر: عزازيل، ص 442.
- 78 يُنظر: عزازيل، ص 445.
- 79 يُنظر: النبطي، ص 18، 25-26.
- 80 يُنظر: النبطي، ص 111-115.

- 81 النبطي، ص 110.
- 82 يُنظر: النبطي، ص 172.
- 83 يُنظر: النبطي، ص 224.
- 84 يُنظر: محال، ص 61، 66.
- 85 يُنظر: جونتنامو، ص 153-156.
- 86 يُنظر: جونتنامو، ص 146، 152، 156.
- 87 يُنظر: نور، ص 111، 128-129.
- 88 يُنظر: نور، ص 146.
- 89 يُنظر: نور، ص 44-45، 144، 159، 160-161، 186.
- 90 يُنظر: ظل الأفعى، ص 35، 43-44، 47، 76-77، 95، 133.
- 91 ظل الأفعى، ص 13، ويُنظر: ص 103.
- 92 يُنظر: ظل الأفعى، ص 100.
- 93 يُنظر: ظل الأفعى، ص 14، 40-41، 89.
- 94 يُنظر: ظل الأفعى، ص 35، 39.
- 95 يُنظر: عزازيل، ص 76.
- 96 يُنظر: ظل الأفعى، ص 52-53.
- 97 عزازيل، ص 159.
- 98 يُنظر: عزازيل، ص 52، 186، 194-198، 297.
- 99 يُنظر: عزازيل، ص 67، 221.
- 100 وجد الباحث أن هذه الحيونة النحلية مشتركة بين المنظومتين، بيد أن الفارق بينهما يكمن في وجه الشبه، فالمنظومة المتشددّة كالنحل في إزعاجه وضوضائه، بينما المتساهلة مثله في اتحادها وانسجامها، يُنظر: عزازيل، ص 177، 291.
- 101 يُنظر: عزازيل، ص 188.
- 102 يُنظر: عزازيل، ص 126.
- 103 يُنظر: عزازيل، ص 140، 153.
- 104 يُنظر: شعرية التأليف، ص 115.
- 105 عزازيل، ص 131.
- 106 يُنظر: عزازيل، ص 392، 453.

- 107 النبطي، ص 283، ويُنظر: ص 317.
- 108 يُنظر: النبطي، ص 380.
- 109 يُنظر: النبطي، ص 177.
- 110 يُنظر: النبطي، ص 218، 301.
- 111 يُنظر: محال، ص 12-14.
- 112 يُنظر: محال، ص 14، 32-33.
- 113 يُنظر: محال، ص 66.
- 114 يُنظر: جونتنامو، ص 18، 19، 30، 114، 121-122، 151، 153، 160، 168، 172، 223، 228.
- 115 يُنظر: جونتنامو، ص 45، 85، 87.
- 116 يُنظر: جونتنامو، ص 138.
- 117 يُنظر: نور، ص 49-50.
- 118 يُنظر: نور، ص 128-129.
- 119 في هذا التحديد التاريخي تقوم أيديولوجي يتبناه المؤلف -على لسان الأم- للحركة النسوية التي تأسست بقيادة هدى شعراوي عام 1920، يُنظر: موسوعة السياسة، ج 7 ص 87-88.
- 120 يُنظر: ظل الأفعى، ص 118، 162.
- 121 يُنظر: ظل الأفعى، ص 166-169، 181-182.
- 122 يُنظر: عزازيل، ص 84-85.
- 123 يُنظر: عزازيل، ص 167-175.
- 124 يُنظر: عزازيل، ص 189-191.
- 125 يُنظر: عزازيل، ص 27-37.
- 126 يُنظر: عزازيل، ص 287.
- 127 يُنظر: عزازيل، ص 305.
- 128 يُنظر: النبطي، ص 64.
- 129 يُنظر: النبطي، ص 74-75.
- 130 يُنظر: جونتنامو، ص 262-264، 279.
- 131 يُنظر: محال، ص 197، جونتنامو، ص 17-18، نور، ص 215.
- 132 يُنظر: جونتنامو، ص 58-59.

- 133 يُنظر: جونتنامو، ص 169-175.
- 134 يُنظر: جونتنامو، ص 184-185.
- 135 سورة الأنفال، آية 46.
- 136 يُنظر: جونتنامو، ص 186.
- 137 يُنظر: نور، ص 160.
- 138 يُنظر: نور، ص 112، 144-145.
- 139 يُنظر: ظل الأفعى، ص 170.
- 140 يُنظر: ظل الأفعى، ص 92.
- 141 يُنظر: ظل الأفعى، ص 13، 157.
- 142 يُنظر: ظل الأفعى، ص 132، 165.
- 143 يُنظر: ظل الأفعى، ص 64، 97.
- 144 يُنظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 8: 22.
- 145 عزازيل، ص 26، ويُنظر: ص 227.
- 146 يُنظر: عزازيل، ص 267-268.
- 147 يُنظر: عزازيل، ص 31-32.
- 148 يُنظر: عزازيل، ص 49.
- 149 يُنظر: النبطي، ص 20، 54، 143، 154، 372.
- 150 يَحصر الباحث احتمالات هذه التسمية بين شخصيتي (الأب، الأم):
- الأول: تجمع بين توق الأب والأم، فيونس عليه السلام نبي أرسله الله إلى أهل نينوى، وآمن به كثيرون منهم، وأعاد أمجادهم، ومنها يلمح الباحث إلحاح المؤلف يوسف زيدان على إظهار التباين بين الوثنية واليهودية والمسيحية في تسمية النبي (يونس، يونان)، وما فيها من تماثل مع موت المسيح وقيامته (فكما بقي يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام... هكذا سيبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام).
- الثاني: اختلاف الأب والأم في التسمية، إذ يُصر الأب على لقب النبطي، ولا يظهر اسم يونس سوى في حوار يتيم بين مارية ويليلى، يُنظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 12: 38-41، الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر يونان، النبطي، ص 318.
- 151 يُنظر: النبطي، ص 229.
- 152 يُنظر: النبطي، ص 337.
- 153 يُنظر: جونتنامو، ص 227.

154 يُنظر: محال، ص 174-175.

155 يُنظر: جونتنامو، ص 178-179.

156 يُنظر: نور، ص 76-78، 101.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد.

ابن الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة القاهرة-مصر، 1995م.

الأبنا غريغوريوس، إن لله في الأسماء قصدا، ومعاني بعض الأسماء، مكتبة المتنيح الأبنا غريغوريوس، القاهرة-مصر، 2003م.

البحري، أ. ق. ص. الرؤية السردية في رواية (عائدون) لمحمد علي محسن. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (3)، 2023، 456-479.

بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف (بنية النص الفني وأنماط الشكل التألفي)، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، 1999م.

ديفيد لودج، الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة-مصر، 2002م.

سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة-مصر، 1992م.

السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلال، مراجعة: مصطفى حجازي، عبدالحاميد طلب، خالد عبدالكريم جمعة، طبعة حكومة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، 2000م.

الشمري س. ب. م. ا. قصديّة وجهة النظر في الخطاب السردى: مقارنة تداوليّة في نماذج روائية سعوديّة. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (4)، 2023، 446-467.

عصام واصل، العنف ضد الأخدام في الرواية اليمنية. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (7)، 2025.

عصام واصل، الرواية النسوية العربية سلطة المركز وتمرد الهامش. مجلة الآداب، (11)، 2019.

القحطاني، م. ب. ظ. ب. ع. الأنا وعلاقتها في (الحياة خارج الأقواس: سيرة غير ذاتية للمدعو سعيد) لسعيد السريحي. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (3)، 2024، 156-183.

القزني، م. ب. ع. التبثير في رواية "القندس" لمحمد حسن علوان: دراسة سردية تلفظية. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (8)، 2021، 407-432.

الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، قراءة توضيحية في الإنجيل (كتاب الحياة)، القاهرة-مصر، 2009م.

- مجمع اللغة العربية، معجم الموسيقى، إشراف: شوقي ضيف، مركز الحاسب الآلي القاهرة-مصر، 1420هـ-2000م
- مجموعة مؤلفين، موسوعة السياسة، إشراف: عبدالوهاب الكيالي، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية بيروت-لبنان، 1990م.
- يوسف زيدان، النبطي، يوسف زيدان، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة-مصر، 2010م.
- يوسف زيدان، جونتنامو، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة-مصر، 2014م.
- يوسف زيدان، ظل الأفعى، يوسف زيدان، دار الشروق، الطبعة الثانية عشر القاهرة-مصر، 2014م.
- يوسف زيدان، عزازيل، يوسف زيدان، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر، القاهرة-مصر، 2013م.
- يوسف زيدان، محال، يوسف زيدان، دار الشروق، الطبعة الثالثة القاهرة-مصر، 2012م.
- يوسف زيدان، نور، يوسف زيدان، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة-مصر، 2016م.